سيرة الشيخ

عن الشيخ | عن المؤسسة

نبذة مختصرة عن الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

نسبه ومولده:

هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق ، الفقيه المفسّر ، الورع الزاهد ، محمد ابن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم.

ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام 1347هـ في عنيزة - إحدى مدن القصيم - في المملكة العربية السعودية.

نشأته العلمية:

ألحقه والده - رحمه الله تعالى - ليتعلم القرآن الكريم عند جدّه من جهة أمه المعلِم عبد الرحمن بن سليمان الدامغ - رحمه الله - ، ثمّ تعلم الكتابة ، وشيئا من الحساب ، والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ - حفظه الله - ، وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلِم علي بن عبد الله الشحيتان - رحمه الله - حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولمّا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره بعد.

وبتوجيه من والده - رحمه الله - أقبل على طلب العلم الشرعي ،

الرئيسة | بحث | المفضلة | سيرة الشيخ | عن التطبيق

بسم الله الرحمن الرحيم

من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بَيَّنَها الله تعالى بيانًا واضحًا للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل.

الشرح

قوله: "بسم الله".

ابتدأ المؤلف -رحمه الله تعالى- كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه مبدوء بالبسملة، واقتداءً برسول الله ﷺ، فإنه يبدأ كتبه ورسائله بالبسملة.

والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف مؤخر مناسب للمقام تقديره هنا: "بسم الله أكتب".

وقدرناه فعلاً: لأن الأصل في العمل الأفعال.

وقدرناه مؤخرًا لفائدتين:

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله تعالى.

الثانية: إفادة الحصر؛ لأن تقديم المتعلق به يفيد الحصر.

وقدرناه مناسبًا: لأنه أدل على المراد، فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتابًا: بسم الله نبتدئ. ما يدرى بماذا نبتدئ، لكن بسم الله نقرأ أدل على المراد.

قوله: "الله".

لفظ الجلالة علم على الباري -جل وعلا-، وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء حتى إنه في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١-٢]. لا نقول: إن لفظ الجلالة "الله" صفة. بل نقول: هي عطف بيان. لئلا يكون لفظ الجلالة تابعًا تبعية النعت للمنعوت؛ ولهذا قال العلماء: أعرف المعارف لفظ "الله"؛ لأنه لا يدل على أحد سوى الله عز وجل.

قوله: "الرحمن".

الرحمن: اسم من الأسماء المختصة بالله لا يطلق على غيره.

ومعناه: المتصف بالرحمة الواسعة.

قوله: "الرحيم".

الرحيم: اسم يطلق على الله عز وجل وعلى غيره.

ومعناه: ذو الرحمة الواصلة، فالرحمن: ذو الرحمة الواسعة، والرحيم: ذو الرحمة الواصلة، فإذا جمعا صار المراد بالرحيم: الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده، كما قال الله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت:٢١]. والمراد بالرحمن: الواسع الرحمة.

قوله: "من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول....إلخ":

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- له عناية بالرسائل المختصرة التي يفهمها العامي وطالب العلم، ومن هذه الرسائل هذه الرسالة "ستة أصول عظيمة" وهي:

الأصل الأول: الإخلاص وبيان ضده وهو الشرك.

الأصل الثاني: الاجتماع في الدين، والنهي عن التفرق فيه.

الأصل الثالث: السمع والطاعة لولاة الأمر.

الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، ومن تشبه بِهم وليس منهم.

الأصل الخامس: بيان من هم أولياء الله.

الأصل السادس: رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة.

وهذه الأصول أصول مهمة جديرة بالعناية، ونحن نستعين بالله تعالى في شرحها والتعليق عليها بما يسَّر الله.

❁❁❁

الأصل الأول

إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين، والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم.

الشرح

قوله: "إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له ....".

الإخلاص لله معناه: "أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى الله تعالى، والتوصل إلى دار كرامته". بأن يكون العبد مخلصًا لله تعالى في قصده، مخلصًا لله تعالى في محبته، مخلصًا لله تعالى في تعظيمه، مخلصًا لله تعالى في ظاهره وباطنه، لا يبتغي إلا بعبادته وجه الله تعالى، والوصول إلى دار كرامته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر:٥٤]. وقوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]. وقوله: ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ [الحج:٣٤]. وقد أرسل الله تعالى جميع الرسل بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وكما وضح الله ذلك في كتابه، كما قال المؤلف: "من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة". فقد وضحه رسول الله ﷺ، فقد جاء -عليه الصلاة السلام- بتحقيق التوحيد وإخلاصه وتخليصه من كل شائبة، وسد كل طريق يمكن أن يوصل إلى ثلم هذا التوحيد أو إضعافه، حتى إن رجلاً قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت. فقال النبي ﷺ: أجعلتني لله ندًّا، بل ما شاء الله وحده»[(١)]. فأنكر النبي ﷺ على هذا الرجل أن يقرن مشيئته بمشيئة الله تعالى بحرف يقتضي التسوية بينهما، وجعل ذلك من اتخاذ الند لله عَزَّ وَجَلَّ.

ومن ذلك أيضًا أن النبي ﷺ حرَّم الحلف بغير الله، وجعل ذلك من الشرك بالله، فقال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[(٢)]. وذلك لأن الحلف بغير الله تعظيم للمحلوف به بما لا يستحقه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، وحينما قدم عليه وفد، فقالوا: «يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منْزلتي التي أنزلني الله عَزَّ وَجَلَّ»[(٣)]. وقد عقد المصنف -رحمه الله- لذلك بابًا في "كتاب التوحيد" فقال: "باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك".

وكما بيَّن الله تعالى الإخلاص وأظهره بيَّن ضده وهو الشرك، فقال

---

(١) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد": (٧٨٣). وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في "السلسلة الصحيحة": (١٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: (٣٢٥١). والترمذي في سننه: (١٥٤٠). وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح أبي داود: (٢٧٨٧).

(٣) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد": (٨٧٥). وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح الأدب المفرد".

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:١١٦]. وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]. وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]. والآيات في ذلك كثيرة، ويقول النبي ﷺ: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»(١). رواه مسلم من حديث جابر.

والشرك على نوعين:

النوع الأول شرك أكبر مخرج عن الملة وهو: "كل شرك أطلقه الشارع، وهو مناف للتوحيد منافاة مطلقة". مثل أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله: بأن يصلي لغير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو أن يدعو غير الله تعالى مثل: أن يدعو صاحب قبر، أو يدعو غائبًا لإنقاذه من أمر لا يقدر عليه إلا الحاضر، وأنواع الشرك معلومة فيما كتبه أهل العلم.

النوع الثاني الشرك الأصغر وهو: "كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك، لكنه لا ينافي التوحيد منافاة مطلقة". مثل الحلف بغير الله، فالحالف بغير الله الذي لا يعتقد أن لغير الله تعالى من العظمة ما يماثل عظمة الله مشرك شركًا أصغر.

ومثل الرياء وهو خطير، قال فيه النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. فسئل عنه؟ فقال: الرياء»(٢). وقد يصل الرياء إلى الشرك الأكبر. وقد مثَّل ابن القيم –رحمه الله- للشرك الأصغر بيسير الرياء، وهذا يدل على أن كثير الرياء قد يصل إلى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (١٢٩). ومسلم في صحيحه: [١٥٢-(٩٣)].
(٢) صححه العلامة الألباني –رحمه الله- في "السلسلة الصحيحة": (٩٥١).

الشرك الأكبر.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء:١١٦]. يشمل كل شرك ولو كان أصغر، فالواجب الحذر من الشرك مطلقًا؛ فإن عاقبته وخيمة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]. فإذا حرمت الجنة على المشرك لزم أن يكون خالدًا في النار أبدًا، فالمشرك بالله تعالى قد خسر الآخرة لا ريب؛ لأنه في النار خالدًا، وخسر الدنيا؛ لأنه قامت عليه الحجة، وجاءه النذير، ولكنه خسر، لم يستفد من الدنيا شيئًا، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥]. فخسر نفسه؛ لأنه لم يستفد منها شيئًا، وأوردها النار وبئس الورد المورود، وخسر أهله؛ لأنَّهم إن كانوا مؤمنين فهم في الجنة، فلا يتمتع بِهم، وإن كانوا في النار فكذلك؛ لأنه كلما دخلت أُمَّة لعنت أختها.

واعلم أن الشرك خفي جدًّا، وقد خافه خليل الرحمن وإمام الحنفاء، كما حكى الله عنه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]. وتأمل قوله: ﴿وَاجْنُبْنِي﴾. ولم يقل: "وامنعني". لأن معنى "اجنبني": أي: اجعلني في جانب عبادة، والأصنام في جانب، وهذا أبلغ من "امنعني"؛ لأنه إذا كان في جانب وهي في جانب كان أبعد.

وقال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه"(١).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحذيفة بن اليمان: «أنشدك

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٣٦).

بالله هل سماني لك رسول الله ﷺ مع من سمى من المنافقين». مع أن الرسول ﷺ بشره بالجنة، ولكنه خاف أن يكون ذلك لما ظهر لرسول الله ﷺ من أفعاله في حياته، فلا يأمن النفاق إلا منافق، ولا يخاف النفاق إلا مؤمن، فعلى العبد أن يحرص على الإخلاص، وأن يجاهد نفسه عليه.

قال بعض السلف: "ما جاهدت نفسي على شيء ما جاهدتُها على الإخلاص".

فالشرك أمره صعب جدًّا، ليس بالهين، ولكن الله ييسر الإخلاص على العبد، وذلك بأن يجعل الله نصب عينيه ، فيقصد بعمله وجه الله.

❁❁❁

الأصل الثاني

أمر الله بالاجتماع في الدين، ونَهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بيانًا شافيًا تفهمه العوام، ونَهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين، ونَهاهم عن التفرق فيه، ويزيده وضوحًا ما وردت به السُّنَّة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون.

الشرح

قوله: "أمر الله بالاجتماع في الدين، ونَهى عن التفرق فيه... إلخ":

الأصل الثاني من الأصول التي ساقها الشيخ -رحمه الله تعالى-: "الاجتماع في الدين، والنهي عن التفرق فيه". وهذا الأصل العظيم قد دل عليه كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ، وعمل الصحابة رضي الله عنهم، والسلف الصالح -رحمهم الله تعالى-:

أما كتاب الله تعالى: فقد قال الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣]. وقال تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦]. وقال تعال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]. وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِن الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

ففي هذه الآيات نَهى الله تعالى عن التفرق، وبين عواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع والأمة بأسرها.

وأما دلالة السُّنَّة على هذا الأصل العظيم: فقد قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا -ويشير إلى صدره- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله»(١). وفي رواية: «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانًا»(٢).

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»(٣).

وقال -عليه الصلاة والسلام- لأبي أيوب رضي الله عنه: «ألا أدلك على تجارة؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: تسعى في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا».

وفي مقابلة أمر النبي ﷺ المؤمنين بالتحاب والتآلف ومحبة الخير والتعاون على البر والتقوى وفعل الأسباب التي تقوي ذلك وتنميه في مقابلة ذلك نَهى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦٩٥١). ومسلم في صحيحه: [٣٢-(٢٥٦٤)].
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦٠٦٤). ومسلم في صحيحه: [٣٠-(٢٥٦٣)].
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦٠٢٦). ومسلم في صحيحه: [٣٠-(٢٥٦٣)].

النبي ﷺ عن كل ما يوجب تفرق المسلمين وتباعدهم؛ وذلك لما في التفرق والبغضاء من المفاسد العظيمة، فالتفرق هو قرة عين شياطين الجن والإنس؛ لأن شياطين الإنس والجن لا يودون من أهل الإسلام أن يجتمعوا على شيء، فهم يريدون أن يتفرقوا؛ لأنَّهم يعلمون أن التفرق تفتت للقوة التي تحصل بالالتزام والاتجاه إلى الله ﷻ.

فالنبي ﷺ حث على التآلف والتحاب بقوله وفعله، ونَهى عن التفرق والاختلاف الذي يؤدي إلى تفريق الكلمة وذهاب الريح.

وأما عمل الصحابة: فقد وقع بينهم ﷺ الاختلاف، لكن لم يحصل به التفرق ولا العداوة ولا البغضاء، فقد حصل الخلاف بينهم في عهد رسول الله ﷺ ورسول الله بين أظهرهم، فمن ذلك أن النبي ﷺ لما فرغ من غزوة الأحزاب، وجاءه جبريل يأمره أن يخرج إلى بني قريظة لنقضهم العهد، قال النبي ﷺ لأصحابه: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة»(1). فخرجوا من المدينة إلى بني قريظة، وحان وقت صلاة العصر، فقال بعضهم: لا نصلي إلا في بني قريظة ولو غابت الشمس؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة». فنقول: سمعنا وأطعنا.

ومنهم من قال: نصلي في الوقت؛ لأن رسول الله ﷺ أراد بذلك المبادرة والإسراع إلى الخروج، ولم يرد منا تأخير الصلاة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فلم يعنف أحدًا منهم ولم يوبخه على ما فهم، وهم بأنفسهم ﷺ لم يتفرقوا من أجل اختلاف الرأي في فهم حديث رسول الله ﷺ.

أما عمل السلف الصالح: فإن من أصول أهل السنة والجماعة في المسائل الخلافية أن ما كان الخلاف فيه صادرًا عن اجتهاد، وكان مما يسوغ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: (٩٤٦). ومسلم في صحيحه: [٦٩-(١٧٧٠)].

فيه الاجتهاد، فإن بعضهم يعذر بعضًا بالخلاف، ولا يحمل بعضهم على بعض حقدًا، ولا عداوة، ولا بغضاء، بل يعتقدون أنَّهم إخوة حتى وإن حصل بينهم هذا الخلاف، حتى إن الواحد منهم ليصلي خلف من يرى أنه ليس على وضوء، ويرى الإمام أنه على وضوء، مثل أن يصلي خلف شخص أكل لحم إبل، وهذا الإمام يرى أنه لا ينقض الوضوء، والمأموم يرى أنه ينقض الوضوء، فيرى أن الصلاة خلف ذلك الإمام صحيحة، وإن كان هو لو صلاها بنفسه لرأى أن صلاته غير صحيحة.

كل هذا لأنَّهم يرون أن الخلاف الناشئ عن اجتهاد فيما يسوغ فيه الاجتهاد ليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كل واحد من المختلفين قد اتبع ما يجب عليه اتباعه من الدليل الذي لا يجوز له العدول عنه، فهم يرون أن أخاهم إذا خالفهم في عمل ما اتباعًا للدليل هو في الحقيقة قد وافقهم؛ لأنَّهم يدعون إلى اتباع الدليل أينما كان، فإذا خالفهم موافقة لدليل عنده فهو في الحقيقة قد وافقهم؛ لأنه تَمشَّى على ما يدعون إليه ويهدون إليه من تحكيم كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ.

أما ما لا يسوغ فيه الخلاف فهو ما كان مخالفًا لما كان عليه الصحابة والتابعون، كمسائل العقائد التي ضل فيها من ضل من الناس، ولم يحصل فيها الخلاف إلا بعد القرون المفضلة -أي: لم ينتشر الخلاف إلا بعد القرون المفضلة-، وإن كان بعض الخلاف فيها موجودًا في عهد الصحابة، ولكن ليعلم أننا إذا قلنا: قرن الصحابة. ليس المعنى أنه لابد أن يموت كل الصحابة، بل القرن ما وجد فيه معظم أهله، قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: "إن القرن يحكم بانقضائه إذا انقرض أكثر أهله".

فالقرون المفضلة انقرضت، ولم يوجد فيها هذا الخلاف الذي انتشر

بعدهم في العقائد، فمن خالف ما كان عليه الصحابة والتابعون فإنه عليه، ولا يقبل خلافه.

أما المسائل التي وجد فيها الخلاف في عهد الصحابة، وكان فيها مساغ للاجتهاد، فلابد أن يكون الخلاف فيها باقيًا، قال النبي ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر»[1]. فهذا هو الضابط.

فالواجب على المسلمين جميعًا أن يكونوا أمة واحدة، وأن لا يحصل بينهم تفرق وتحزب، بحيث يتناحرون فيما بينهم بأسنة الألسن، ويتعادون ويتباغضون من أجل اختلاف يسوغ فيه الاجتهاد، فإنَّهم وإن اختلفوا فيما يختلفون فيه فيما تقتضيه النصوص حسب أفهامهم فإن هذا أمر فيه سعة ولله الحمد، والمهم ائتلاف القلوب واتحاد الكلمة، ولا ريب أن أعداء المسلمين يحبون من المسلمين أن يتفرقوا سواءً كانوا أعداءً يصرحون بالعداوة، أو أعداء يتظاهرون بالولاية للمسلمين أو للإسلام، وهم ليسوا كذلك.

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٧٣٥٢). ومسلم في صحيحه: [١٥-(١٧١٦)].

الأصل الثالث

إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمَّرَ علينا ولو كان عبدًا حبشيًّا، فبيَّن الله هذا بيانًا شائعًا كافيًا بوجوه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدَّعي العلم فكيف العمل به.

الشرح

قوله: "إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة...إلخ".

ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لولاة الأمر بامتثال ما أمروا به، وترك ما نَهوا عنه، ولو كان من تأمر علينا عبدًا حبشيًّا.

قوله: "فبين الله هذا بيانًا شائعًا كافيًا... إلخ".

أما بيانه شرعًا: ففي كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ:

فمن بيانه في كتاب الله تعالى: قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُم﴾ [النساء:٥٩] الآية. وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]. وقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣].

ومن بيانه في سُنَّة رسول الله ﷺ: ما ثبت في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله

قال: إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان»[١].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «من رأى من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهلية»[٢].

وقال ﷺ: «من خلع يدًا من الطاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له»[٣].

وقال: «اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي»[٤].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[٥]. متفق عليه.

وقال عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-: «كنا مع النبي ﷺ في سفر فنَزلنا منْزلاً فنادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: إنه ما من نبي بعثه الله إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونَها، وتجيء فتنة يرقق بعضها بعضًا، تجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. وتجيء الفتنة فيقول: هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاءه آخر ينازعه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٧٠٥٦). ومسلم في صحيحه: [٤١-(١٧٠٩)].
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٧٠٥٤). ومسلم في صحيحه: [٥٥-(١٨٤٩)].
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: [٥٨-(١٨٥١)].
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: (٧١٤٢).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: (٧١٤٤). ومسلم في صحيحه: [٣٨-(١٨٣٩)].

فاضربوا عنق الآخر»(١) رواه مسلم.

وأما بيانه قدرًا: فإنه لا يخفى حال الأمة الإسلامية حين كانت متمسكة بدينها، مجتمعة عليه، معظمة لولاة أمورها، منقادة لهم بالمعروف، كانت لها السيادة والظهور في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُم الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

ولما أحدثت الأمة الإسلامية ما أحدثت، وفرقوا دينهم، وتمردوا على أئمتهم، وخرجوا عليهم، وكانوا شيعًا، نزعت المهابة من قلوب أعدائهم، وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم، وتداعت عليهم الأمم، وصاروا غثاء كغثاء السيل، وصار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم والغيرة على دين الله، وترك العمل به، ورأى كل فرد من أفراد الرعية نفسه أميرًا أو بِمنْزلة الأمير المنابذ للأمير.

فالواجب علينا جميعًا -رعاة ورعية- أن نقوم بما أوجب الله علينا من التحاب، والتعاون على البر والتقوى، والاجتماع على المصالح؛ لنكون من الفائزين، وعلينا أن نجتمع على الحق، ونتعاون عليه، وأن نخلص في جميع أعمالنا، وأن نسعى لهدف واحد هو إصلاح هذه الأمة إصلاحًا دينيًّا ودنيويًّا بقدر ما يمكن، ولن يمكن ذلك حتى تتفق كلمتنا، ونترك المنازعات بيننا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: [٤٦-(١٨٤٤)].

والمعارضات التي لا تحقق هدفًا، بل ربما تفوت مقصودًا، وتعدم موجودًا.

إن الكلمة إذا تفرقت، والرعية إذا تمردت، دخلت الأهواء والضغائن، وصار كل واحد يسعى لتنفيذ كلمته، وإن تبين أن الحق والعدل في خلافها، وخرجنا عن توجيهات الله تعالى حيث يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فإذا عرفت كل واحد ما له وما عليه، وقام به على وفق الحكمة، فإن الأمور العامة والخاصة تسير على أحسن نظام وأكمله.

❁❁❁

الأصل الرابع

بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بِهم وليس منهم، وقد بيَّن الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠]. إلى قوله: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧]. ويزيده وضوحًا ما صرحت به السُّنَّة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومَدَحَه لا يتفوَّه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وصنَّف في التحذير منه والنَّهي عنه هو الفقيه العالِم.

الشرح

قوله: "بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء... إلخ".

المراد بالعلم هنا: العلم الشرعي، وهو: "علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى".

والعلم الذي فيه المدح والثناء: هو علم الشرع، علم ما أنزله الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩]. وقال النبي ﷺ: «من يرد

الله به خيرًا يفقهه في الدين»[١]. وقال النبي ﷺ: «إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[٢]. ومن المعلوم أن الذي ورثه الأنبياء إنما هو علم الشريعة، ومع هذا فنحن لا ننكر أن يكون للعلوم الأخرى فائدة، ولكنها فائدة ذات حدين: إن أعانت على طاعة الله، وعلى نصر دين الله، وانتفع بها عباد الله كانت خيرًا ومصلحة، وقد ذكر بعض أهل العلم أن تعلم الصناعات فرض كفاية، وهذا محل نظر ونزاع.

وعلى كل حال فالعلم الذي ورد الثناء فيه وعلى طالبيه هو فقه كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وما عدا ذلك فإن كان وسيلة إلى خير فهو خير، وإن كان وسيلة إلى شر فهو شر، وإن لم يكن وسيلة لهذا وهذا فهو ضياع وقت ولغو.

والعلم له فضائل كثيرة:

منها: أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا، أما في الآخرة فإن الله يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله والعمل بما علموا، وفي الدنيا يرفعهم الله بين عباده بحسب ما قاموا به، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].

ومنها: أنه إرث النبي ﷺ، كما قال النبي ﷺ: «إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[٣].

ومنها: أنه مما يبقى للإنسان بعد مماته، فقد ثبت في الحديث أن النبي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٧١). ومسلم في صحيحه: [١٧٥-(١٩٢٣)].

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: (٢٦٩١). وأخرجه أبو داود: (٣٦٤١). أخرجه ابن ماجه: (٢٢٣). وصححه العلامة الألباني في "صحيح ابن ماجه": (١٨٢).

(٣) التخريج السابق.

ﷺ قال: «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح»(١).

ومنها: أن الرسول ﷺ لم يرغب أحدًا أن يغبط أحدًا على شيء من النعم إلا على نعمتين هما:

١- طلب العلم والعمل به.

٢- الغني الذي جعل ماله خدمة للإسلام.

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»(٢).

ومنها: أن العلم نور يستضيء به العبد فيعرف كيف يعبد ربه، وكيف يعامل غيره، فتكون مسيرته في ذلك على علم وبصيرة.

ومنها: أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، ولا يخفى على كثير من الناس قصة الرجل الذي من بني إسرائيل قتل تسعًا وتسعين نفسًا، فسأل رجلاً عابدًا هل له من توبة. فكأن العابد استعظم الأمر فقال: لا. فقتله السائل فأتم به المائة، ثم ذهب إلى عالم فسأله فأخبره أن له توبة، وأنه لا شيء يحول بينه وبين التوبة، ثم دله على بلد أهله صالحون؛ ليخرج إليه، فخرج فأتاه الموت في أثناء الطريق، والقصة مشهورة فانظر الفرق بين العالم والجاهل.

إذا تبين ذلك فلابد من معرفة من هم العلماء حقًّا -هم الربانيون الذين

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: [١٤-(١٦٣١)].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٧٣). ومسلم في صحيحه: [٢٦٨-(٧١٦)].

يربون الناس على شريعة ربِّهم- حتى يتميز هؤلاء الربانيون عمن تشبه بِهم وليس منهم، يتشبه بِهم في المظهر والمنظر والمقال والفعال، لكنه ليس منهم في النصيحة للخلق وإرادة الحق، فخيار ما عنده أن يلبس الحق بالباطل، ويصوغه بعبارات مزخرفة، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، بل هو البدع والضلالات الذي يظنه بعض الناس هو العلم والفقه، وأن ما سواه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون.

هذا معنى كلام المؤلف -رحمه الله- وكأنه يشير إلى أئمة أهل البدع المضلين، الذين يلمزون أهل السُّنَّة بما هم بريئون منه؛ ليصدوا الناس عن الأخذ منهم، وهذا إرث الذين طغوا من قبلهم، وكذبوا الرسل، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢]. قال الله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٣].

❁❁❁

الأصل الخامس

بيان الله سبحانه لأولياء الله، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بِهم من أعداء الله المنافقين والفجار، ويكفي في هذا آية من سورة آل عمران وهي قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُم اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] الآية. وآية في سورة المائدة، وهي قوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤] الآية. وآية في يونس، وهي قوله: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]. ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم، وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لابد فيهم من ترك اتباع الرسل ومن تبعهم، فليس منهم ولابد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم، ولابد من ترك الإيْمَان والتقوى، فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم، يا ربنا نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء.

الشرح

قوله: "بيان الله سبحانه لأولياء الله... إلخ".

أولياء الله تعالى: هم الذين آمنوا به، واتقوه، واستقاموا على دينه، وهم من وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]. فليس كل من يدعي الولاية يكون وليًّا، وإلا لكان كل واحد يدعيها، ولكن يوزن هذا المدعي للولاية بعمله، إن كان عمله مبنيًّا على الإيْمَان والتقوى فإنه ولي، وإلا فليس بولي، وفي

دعواه الولاية تزكية لنفسه، وذلك ينافي تقوى الله ﷻ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]. فإذا ادعى أنه من أولياء الله فقد زكى نفسه، وحينئذ يكون واقعًا في معصية الله، وفيما نَهاه الله عنه، وهذا ينافي التقوى، فأولياء الله لا يزكون أنفسهم بمثل هذه الشهادة، وإنما هم يؤمنون بالله ويتقونه، ويقومون بطاعته ﷻ على الوجه الأكمل، ولا يغرون الناس ويخدعونَهم بِهذه الدعوى حتى يضلوهم عن سبيل الله تعالى.

فهؤلاء الذين يدعون أنفسهم أحيانًا أسيادًا، وأحيانًا أولياء، لو تأمل الإنسان ما هم عليه لوجدهم أبعد ما يكونون عن الولاية والسيادة، فنصيحتي لإخواني المسلمين أن لا يغتروا بمدعي الولاية حتى يقيسوا حاله بما جاء في النصوص في أوصاف أولياء الله.

وقد أشار الشيخ –رحمه الله تعالى– إلى علامة محبة الله وولايته بما ساقه من الآيات:

الآية الأولى: قوله تعالى في آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]. وهذه الآية تسمى آية المحنة –أي: الامتحان– حيث ادعى قوم محبة الله تعالى، فأنزل الله هذه الآية، فمن ادعى محبة الله تعالى نظرنا في عمله، فإن كان متبعًا لرسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– فهو صادق، وإلا فهو كاذب.

الآية الثانية: قوله تعالى في المائدة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤] الآيتين. فوصفهم بأوصاف هي علامة المحبة وثمراتُها:

الوصف الأول: أنَّهم أذلة على المؤمنين فلا يحاربونَهم، ولا يقفون ضدهم،

ولا ينابذونَهم.

الوصف الثاني: أنَّهم أعزة على الكافرين -أي: أقوياء عليهم غالبون لهم-.

الوصف الثالث: أنَّهم يجاهدون في سبيل الله -أي: يبذلون الجهد في قتال أعداء الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا-.

الوصف الرابع: أنَّهم لا يخافون في الله لومة لائم. -أي: إذا لامهم أحد على ما قاموا به من دين الله لم يخافوا لومته، ولم يمنعهم ذلك من القيام بدين الله ﷻ-.

الآية الثالثة: قوله تعالى في يونس: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]. فبين الله تعالى أن أولياء الله تعالى هم الذين اتصفوا بهذين الوصفين: الإيْمَان، والتقوى. فالإيْمَان بالقلب، والتقوى بالجوارح، فمن ادعى الولاية ولم يتصف بهذين الوصفين فهو كاذب.

ثم إن الشيخ -رحمه الله- بين أن الأمر صار على العكس عند أكثر من يدعي العلم، وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع، فالولي عنده من لا يتبع الرسل، ولا يجاهد في سبيل الله، ولا يؤمن به، ولا يتقيه.

ويحسن بنا أن ننقل هنا ما كتبه شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله تعالى- في رسالته: "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" ونسوق ما تيسر منها:

قال -رحمه الله-: "وقد بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ أن لله أولياء من الناس، وللشيطان أولياء، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فقال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمْ

الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤]. وذكر أولياء الشيطان، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٩٨-١٠٠].

فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون... وهم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونَهوا عما نَهى، وأعطوا من يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع..

فلا يكون وليًّا لله إلا من آمن به، وبما جاء به، واتبعه باطنًا وظاهرًا، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه -أي: الرسول- فليس من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُم اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

فالناس متفاضلون في ولاية الله ﷻ بحسب تفاضلهم في الإيْمَان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق.. وأولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز في أول سورة الواقعة وآخرها، وفي الإنسان، والمطففين، وفي سورة فاطر.... والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيمًا، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيْمَانِهم وتقواهم.

فمن لم يتقرب إلى الله، لا يفعل الحسنات، ولا يترك السيئات، لم يكن من أولياء الله، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله، لاسيما أن تكون محجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه، أو نوع من تصرف... فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليًّا لله وإن لم يعلم منه ما ينقص ولاية الله،

فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله؟! مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنًا وظاهرًا، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقًا إلى الله غير طريق الأنبياء -عليهم السلام-... فعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض، ولا يجتنب المحارم، بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لأحد أن يقول: هذا ولي لله... وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات...

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصومًا لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين... ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيْمَان بجميع ما يقوله من هو ولي لله؛ لئلا يكون نبيًّا... بل يجب أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ، فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف؟ توقف فيه.

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف: طرفان، ووسط.

فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه ولي لله وافقه في كل ما يظن أنه حدث به قلبه عن ربه، وسلم إليه جميع ما يفعله.

ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهدًا مخطئًا.

وخيار الأمور أوساطها: وهو أن لا يجعل معصومًا ولا مأثومًا إذا كان مجتهدًا مخطئًا، فلا يتبع في كل ما يقوله، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده، والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله...

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا

رسول الله ﷺ، وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم، فالأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه- يجب لهم الإيْمان بجميع ما يخبرون به عن الله ﷻ، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء فإنَّهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيْمان بجميع ما يخبرون به، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسُّنَّة، فما وافق الكتاب والسُّنَّة وجب قبوله، وما خالف الكتاب والسُّنَّة كان مردودًا، وإن كان صاحبه من أولياء الله وكان مجتهدًا معذورًا فيما قاله، له أجر على اجتهاده، لكنه إذا خالف الكتاب والسُّنَّة كان مخطئًا، وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع...

وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسُّنَّة هو مما اتفق عليه أولياء الله ﷻ، ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم، بل إما أن يكون كافرًا، وإما أن يكون مفرطًا في الجهل...

وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولي لله، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله، ويسلم إليه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يفعله وإن خالف الكتاب والسُّنَّة، فيوافق ذلك له، ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء، فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين، ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين، فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال، وآخرًا إلى الكفر والنفاق...

وتجد كثيرًا من هؤلاء عمدتُهم في اعتقاد كونه وليًّا لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة.. وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ، وموافقته لأمره ونَهيه.. وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور.

وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان صاحبها وليًّا لله، فقد يكون عدوًّا لله فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتِهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسُّنَّة، ويعرفون بنور الإيْمَان والقرآن وبحقائق الإيْمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة...

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم "أربع مراتب"، فقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩]... ولهم الكرامات التي يكرم الله بِها أولياءه المتقين، وخيار أولياء الله كراماتُهم لحجة في الدين، أو لحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك، وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ...

ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها لضعف الإيْمَان، أو المحتاج أتاه منها ما يقوى إيْمَانه، ويسد حاجته،

ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيًا عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته؛ ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم، فهؤلاء أعظم درجة...

والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام:

قسم يكذب بوجود ذلك لغير الأنبياء، وربما صدق به مجملاً، وكذب ما يذكر له عن كثير من الناس؛ لكونه عنده ليس من الأولياء.

ومنهم من يظن أن كل من كان له نوع من خرق العادة كان وليًّا لله. وكلا الأمرين خطأ... ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونَهم على قتال المسلمين، وأنَّهم من أولياء الله، وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة.

والصواب القول الثالث: وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم، لا من أولياء الله عَزَّ وَجَلَّ.

وفيما نقل كفاية إن شاء الله تعالى، ومن أراد المزيد فليرجع إلى الأصل، والله الموفق.

❁❁❁

الأصل السادس

رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسُّنَّة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي أن القرآن والسُّنَّة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافًا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر، فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضًا حتمًا لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو: إما زنديق، وإما مجنون؛ لأجل صعوبة فهمهما، فسبحان الله وبحمده كم بين الله سبحانه شرعًا وقدرًا، خلقًا وأمرًا في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:٧-١١].

آخره والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الشرح

قوله: "رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسُّنَّة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة... إلخ".

الاجتهاد لغة: بذل الجهد لإدراك أمر شاق.

واصطلاحًا: بذل الجهد لإدراك حكم شرعي.

والاجتهاد له شروط منها:

١- أن يعلم من الأدلة الشرعية ما يحتاج إليه في اجتهاده كآيات الأحكام وأحاديثها.

٢- أن يعرف ما يتعلق بصحة الحديث وضعفه كمعرفة الإسناد ورجاله وغير ذلك.

٣- أن يعرف الناسخ والمنسوخ ومواقع الإجماع حتى لا يحكم بمنسوخ أو مخالف للإجماع.

٤- أن يعرف من الأدلة ما يختلف به الحكم من تخصيص أو تقييد أو نحوه حتى لا يحكم بما يخالف ذلك.

٥- أن يعرف من اللغة وأصول الفقه ما يتعلق بدلالات الألفاظ كالعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين ونحو ذلك؛ ليحكم بما تقتضيه تلك الدلالات.

٦- أن يكون عنده قدرة يتمكن بِها من استنباط الأحكام من أدلتها.

والاجتهاد يتجزأ فيكون في باب واحد من أبواب العلم، أو في مسألة من مسائله، والمهم أن المجتهد يلزمه أن يبذل جهده في معرفة الحق، ثم يحكم بما يظهر له، فإن أصاب فله أجران: أجر على اجتهاده، وأجر على إصابة الحق؛ لأن في إصابة الحق إظهارًا له وعملاً به، وإن أخطأ فله أجر واحد،

والخطأ مغفور له؛ لقوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»(١). وإن لم يظهر له الحكم وجب عليه التوقف، وجاز التقليد حينئذ للضرورة؛ لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

ولهذا قال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: "إن التقليد بِمنْزلة أكل الميتة، فإذا استطاع أن يستخرج الدليل بنفسه فلا يحل له التقليد".

وقال ابن القيم -رحمه الله- في "النونية":

العلم معرفة الهدى بدليل ما ذاك والتقليد يستويان

والتقليد يكون في موضعين:

الأول: أن يكون المقلد عاميًّا، لا يستطيع معرفة الحكم بنفسه ففرضه التقليد؛ لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]. ويقلد أفضل من يجده علمًا وورعًا، فإن تساوى عنده اثنان خير بينهما.

الثاني: أن يقع للمجتهد حادثة تقتضي الفورية، ولا يتمكن من النظر فيها، فيجوز له التقليد حينئذٍ.

والتقليد نوعان: عام، وخاص.

فالعام: أن يلتزم مذهبًا معينًا يأخذ برخصه وعزائمه في جميع أمور دينه، وقد اختلف العلماء فيه:

فمنهم من حكى وجوبه لتعذر الاجتهاد في المتأخرين.

---

(١) سبق تخريجه: ص ١٧.

ومنهم من حكى تحريمه لما فيه من الالتزام المطلق لاتباع غير النبي ﷺ.

وقال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله-: "إن في القول بوجوب طاعة غير النبي ﷺ في كل أمره ونَهيه هو خلاف الإجماع، وجوازه فيه ما فيه".

والخاص: أن يأخذ بقول معين في قضية معينة فهذا جائز إذا عجز عن معرفة الحق بالاجتهاد سواءً عجز عجزًا حقيقيًّا، أو استطاع ذلك مع المشقة العظيمة.

وبِهذا انتهت رسالة الأصول الستة، فنسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفها أحسن الثواب، وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته، إنه جواد كريم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أعداد خالد المصري عفا الله عنه